خطبة بعنـــــــوان :

نعمة المياه مقوم أساس للحياة

(خطبة مزيدة ومتجددة)

للدكتـــــور/ محمد حســـن داود

(7 صفر 1447هـ - 1 أغسطس 2025)

العناصـــــر :

- نعمة المياه: مكانتها وأهميتها.
- شكر نعمة المياه.
- نهي الإسلام عن الإسراف في الماء.
- دعوة إلى الحفاظ على نعمة المياه، وتنميتها، وعدم تلويثها.

الموضـــــوع:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وأنبت به من كل زوج بهيج، سبحانه، نعمه لا تحصى، وآلاؤه ليس لها منتهى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

فإن نعم الله (عز وجل) على عباده لا يحدها حد، ولا يحصيها عد؛ قال تعالى: (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) (لقمان: 20)؛ وإن من أرفع هذه النعم قدرا، وأعظمها شأنا (وكل نعم الله رفيعة القدر، عظيمة الشأن): "نعمة الماء".

- فلعظيم قدرها وجليل أمرها؛ حفل القرآن الكريم بذكرها، والتنويه بشأنها في مواضع كثيرة، فقد ورد ذكر "الماء" بمشتقاته في القرآن الكريم في نحو مائة وثلاث وستين مرة؛ فتحدث القرآن الكريم عن هذه النعمة نازلة من السماء، وتحدث عنها وهي في الأرض، ومن ذلك قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ) (الفرقان: 48) وقوله جل وعلا: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ) (المؤمنون: 18) وقوله عز وجل: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا) (المرسلات: 27)، وفي ذلك إشارة واضحة جلية، ودليل قوي على أهمية هذه النعمة العظيمة، فلا شك أن كثرة ذكرها في كتاب الله بمفرداتها ومكوناتها من البحار، والأنهار، والسحاب يدل على عظم أثرها في حياة البشرية.

- فالماء أصل للحياة، قال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (النور: 45)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي، وَقَرَّتْ عَيْنِي، أَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ: "كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ" (رواه ابن حبان).

- والماء مصدر للحياة، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (الانبياء: 30)، فلولا وجود الماء ما كان إنسان، وما عاش على الأرض حيوان، وما نبت زرع أو شجر، وما كان منه الثمر؛ قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(النحل: 10-11)، ومن ذلك لما دخل ابنُ السَّمَّاك على الخليفة هارون الرشيد، فاستدعى هارون الرشيد ماءً ليشرب؛ فلما أخذه، قال ابن السماك: على رسلك يا أمير المؤمنين! لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها؟! قال: بنصف ملكي. قال: اشرب هنأك الله تعالى يا أمير المؤمنين. فلما شرب قال: أسألك بالله لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشترى خروجها؟! قال: بجميع ملكي. قال ابن السماك : لا خير في ملك لا يساوي شربة ماء.

- والماء أصل المعاش وأعظم سبل الرزق، وهو روح الخيرات، يقول سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "أينما كان الماء كان المال"، ولقد سطر التاريخ أن

حضارات البشر شُيدت على ضفاف الأنهار، وقطرات الأمطار، وسواحل البحار، في دلالة على أهمية الماء في كل زمان وأوان.

- بل من قدره وعظيم أمره أن تراه في العبادات، وقد قال النبي (صلى اللهُ عليه وسلم): "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ"، وفي رواية: "الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمَانِ"، وَعَنْ سيدنا أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى اللهُ عليه وسلم) قَالَ: "إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ" (رواه مسلم).

- ومن عظيم قدره أن ترى سُقْيَ الماء في أبواب الحسنات والصدقات، وخصال الخيرات، وميادين الصالحات، والفوز بالدرجات والشفاعة يوم القيامة، ومن ذلك:

* عَنْ سيدنا أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "يَصُفُّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفُوفًا- وَقَالَ: ابْنُ نُمَيْرٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ- فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقَيْتُكَ شَرْبَةً؟ قَالَ: فَيَشْفَعُ لَهُ، وَيَمُرُّ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاوَلْتُكَ طَهُورًا؟ فَيَشْفَعُ لَهُ" (رواه ابن ماجه) وفي المقابل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ،... وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ".

* وروى أبو داود أَنَّ سيدنا سعد بن عبادة (رضي الله عنه) أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: "الْمَاءُ" وعَنه (رضي الله عنه): أَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ فَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "سَقْيُ الْمَاءِ". ولما سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) : أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ: "الْمَاءُ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى أَهْلِ النَّارِ حِينَ اسْتَغَاثُوا بِأَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ؟". قال الإمام القرطبي (رحمه الله)، في (الجامع لأحكام القرآن): " سقي الماء من أعظم القربات عند الله (تعالى)، وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء. وقد غفر الله ذنوب الذي سقى الكلب، فكيف بمن سقى رجلا مؤمنا موحدا وأحياه" .

* وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهَرًا، أَوْ

حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ".

* ويقول ابن شقيق: "سمعت ابن المبارك وسأله رجل عن قرحةٍ خرجت في ركبته منذ سَبْعِ سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع بما أعطوه، فقال له ابن المبارك: اذهب فاحفر بئرًا في مكان يحتاج الناس فيه إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ بإذن الله" (شعب البيهقي).

- ومن عظيم أمر الماء أن أيد الله (عز وجل) به بعض أنبيائه، فمن المعجزات التي أكرم الله (عز وجل) بها حبيبنا النبي (صلى اللهُ عليه وسلم) أن نبع الماء من بين أصابعه يوم الحديبية؛ فعن سيدنا جابر (رضي الله عنه) قال: عَطِشَ النَّاسُ يَومَ الحُدَيْبِيَةِ والنَّبيُّ (صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) بيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقالَ: "ما لَكُمْ؟" قالوا: ليسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ ولَا نَشْرَبُ إلَّا ما بيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ في الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ بيْنَ أصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وتَوَضَّأْنَا. قُلتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قالَ: لو كُنَّا مِئَةَ ألْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً" (رواه البخاري).

- ومن عظيم أمره أنه جند من جند الله، نجى الله به عبادا، وأهلك به آخرون.

- ومن عظيم أمره أن ضرب الله (عز وجل) به الأمثال في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) (الكهف: 45)، وقال سبحانه: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (يونس:24).

إن السعي في حصر خصائص الماء، ووظائفه، ومنافعه، وفوائده، يعجز عنه العبد، فلا شراب إلا بالماء، ولا طعام إلا بالماء، ولا دواء إلا بالماء، ولا نظافة إلا بالماء، ولا صناعة إلا بالماء، ولا زراعة إلا بالماء، قال جل وعلا: (وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج: 5) وقال جل وعلا: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) (فاطر: 27) وقال سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا

إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأنعام: 99) ومن ذلك كان اهتمام الناس جميعا بالماء على اختلاف الزمان والمكان والحال، فها هو النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو أصحابه قائلا: "مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ" فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

إن من الناس من تعودوا وجود هذه النعمة وأَلِفُوها؛ فهي دائما حاضرة بين أيديهم متى يريدونها يجدونها دون مشقة أو عناء أو مجرد سعى في طلبها، مما جعلهم قد ينسون قدر هذه النعمة وشأن هذه المنة، ووجوب شكرها؛ والله (جل وعلا) يقول: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) (الملك:30) ويقول:(أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ) (الواقعة56-58).

ولقد كان سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حفيا بهذه النعمة يعظمها ويشكرها، وما أكثر الدعوات التي كان يدعو بها حين يفرغ من طعامه إذا طعم وشرابه إذا شرب، فعَنْ سيدنا أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا" (رواه أبو داود) ومن دعائه أيضا: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا " ولا شك أن هذه البشاشة التي يستقبل بها سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نعمة الماء، وهذا الشكر الدائم لله على هذه النعمة هما أعظم دلالة على أهمية هذه النعمة العظيمة.

فحرى بنعمة أشار إليها القران في أكثر من موضع، وأشارت إليها السنة النبوية في أكثر من موضع، غير أنها مصدر للحياة، أن تكون موجبة للشكر بالقول والعمل، فالشكر باب دوام النعم، بل وزيادتها، قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم: 7) ويقول ابن عطاء الله السكندري (رحمه الله): "من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها".

وإن شكر الله (تبارك وتعالى) على نعمة الماء لا يقتصر على الشكر باللسان، بل يتعداه إلى الشكر بالفعل؛ فقد قال تعالى: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ: 13).

وإن من شكر الله (تعالى): الحفاظ على هذه النعمة بحسن التصرف فيها، فنقطة الماء تساوي حياة، وإهدار نقطة الماء قد يعني إهدار حياة، ومن ذلك كانت دعوة الإسلام إلى الاقتصاد والترشيد في استعماله؛ فأي إسراف في استعمال الماء هو تصرف سيء وسلوك غير حميد، جاء النهي عنه صريحا في القرآن الكريم، قال

تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف: 31)، ولقد كان سيدنا الحبيب النبي (صلى الله عليه وسلمَ) إذا اغتسل اغتسل بالقليل، وإذا توضأ توضأ باليسير؛ فعن أنس (رضي الله عنه) قال: "كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَغْسِلُ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ، بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ " (رواه البخاري) (الصاع أربعة أمداد، والمد ملء اليدين المتوسطتين) وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما)، أَنّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَرَّ بِسَعْدٍ (رضي الله عنه) وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: "مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ، قَالَ: "نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ" (رواه أحمد) ولما جَاءَ رجل إِلَى سيدنا الحبيب النَّبِيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ الوُضُوءَ، فَأَرَاهُ الوُضُوءَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا، فَقَدْ أَسَاءَ، أَوْ تَعَدَّى، أَوْ ظَلَمَ".

فإذا كان الاقتصاد في استعمال الماء في العبادة مطلوبا وعملا مرغوبا؛ فالاقتصاد في غير العبادة أولى، وإن كان الذي يغرف منه نهرا أو بحرا، بل وعدم إهداره فيما لا فائدة منه ولا طائل أولى وأولى، فمن جار أو تجوز في استخدامه فوق الحاجة أو في غير ما خصص له فقد (أساء – تعدى – ظلم).

إِيَّاكَ وَالإِسْرَافَ فِيمَا تَبْتَغِي *** فَلَرُبَّما أَدَّى إِلَى التَّقْتِيرِ
وَاسْتَعْمِلِ القَصْدَ الوَفِيرَ تَفُزْ بِهِ *** وَاسْتَبْدِلِ التَّبْذِيرَ بِالتَّدْبِيرِ

إن من شكر نعمة الماء أيضا الحفاظ عليه نظيفا نقيا غير ملوث؛ إذ إن الإسلام دين الرقي والحضارة يريد للمياه أن تبقى بعيدة عن كل ما يعكر صفاءها، ويلوث نقاءها، على الصورة التي صورها القرآن الكريم لها، والصفة التي وصفها بها، فقد جاء وصف الماء في القرآن الكريم بالبركة والطهور والعذوبة، يقول الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً) (ق: 9) ويقول سبحانه وتعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً) (الفرقان: 48) وقال عز وجل: (وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً) (المرسلات: 27) ولكي يبقى الماء على هذه الصورة النضرة الزاكية، والصفات الجميلة الراقية؛ نهى الإسلام عن كل تصرف يؤدي به إلى خلاف ذلك، فعن سيدنا جابر (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ " (رواه مسلم)، وعن جابر أيضا أنه قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الْجَارِي". فلقد نهى الإسلام عن كل تصرف أو سلوك حرم بسببه الماء من صفائه، وطهارته ونقائه، فَعَنْ مُعَاذٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ"(رواه أبو داود) ويلحق بذلك إلقاء القاذورات والقمامة والمخلفات وكل ما يعكر صفوه ، فالاعتداء عليه اعتداء على حق المجتمع كله

وطرح الأذى فيه أذى للمجتمع كله يأثم صاحبه بفعله، والله (سبحانه وتعالى) يقول: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) (الأحزاب 58)، ولقد قرر الإسلام أنه لا ضرر ولا ضرار، ومما لاشك فيه أنه لا ضرر أشد من الضرر في تلويث مصدر الحياة.

ومن ثم فيجب على كل إنسان أن يحافظ على الماء من كل ما يلوثه من ناحية، ومن أخرى أن يقتصد في استعماله ويمتنع عن إهداره، فهو من النعيم الذي يسأل عنه العبد يوم القيامة قال تعالى: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر: 8)، وقد قال النبي (صلى اللهُ عليه وسلم): "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنْ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ظِلٌّ بَارِدٌ وَرُطَبٌ طَيِّبٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ"، وعن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال، قال رسول الله (صَلى الله عليه وسلم): "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ - يَعْنِي العَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ - أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ " (رواه الترمذي).

نسأل الله دوام نعمه وفضله
وأن يحفظ مصر من كل مكروه وسوء

محمد حســـــن داود
إمام وخطـيب ومدرس
دكتوراة في الفقه المقارن